التمرد غير المرئي في مصر

اريك تراجر

عقب الإطاحة بالرئيس المصري محمد مرسي في الصيف الماضي، حذر المحللون من احتمال قيام جماعة «الإخوان المسلمين» باعتناق الجهاد بعد تجريدها من السلطة. وقد جادل البعض، بأن الإطاحة بحكومة إسلامية منتخبة سوف تدفع «الجماعة» إلى التخلي عن الإجراءات الديمقراطية التي لم تقبل بها سوى مؤخرا، والعمل، بدلا من ذلك، على تقديم رؤيتها الدينية من خلال القيام بأعمال إرهابية مشابهة لتلك التي يقوم بها تنظيم «القاعدة». ومع ذلك، فبعد مرور ما يقرب من ثمانية أشهر، لم تتجسد بعد تلك التوقعات. وفي حين قتل المتشددون في سيناء أكثر من 300 من ضباط الجيش والشرطة منذ تموز/يوليو، هناك القليل من الأدلة عن انضمام العديد من أعضاء «الإخوان»، إن وجدوا، إلى صفوف الجهاديين.

بيد أنه في ظل القمع الذي أودى بحياة ما يزيد عن 1000 شخص من أنصار مرسي، فإن أعضاء «الإخوان» لا يديرون خدهم الآخر إلى النظام. فهم يعمدون وهم مسلحون بالأسلحة الارتجالية، مثل علب الأيروسول الملتهبة وقنابل المولوتوف، إلى شن حملة من العنف المحدود ضد مختلف الأهداف الحكومية والمدنية، تهدف إلى إثارة الفوضى وبالتالي إضعاف النظام الذي أعقب الإطاحة بمرسي. والمفارقة أنهم يعتنقون نفس الأساليب التي تبناها النشطاء المناهضون لـ «الجماعة» لتقويض نفوذ مرسي بعد استيلائه على السلطة في نوفمبر 2012.

ولتعزيز هذه المحاولات العنيفة، يستعين أعضاء «الإخوان» بأنصارهم من خلال وسائل الإعلام الاجتماعية، ويؤسسون جماعات عنف على «الفيسبوك» جذبت آلاف «المعجبين – likes». على سبيل المثال، إذا نظرنا إلى صفحة «حركة إعدام» على «الفيسبوك»، التي تأسست في أوائل سبتمبر وتدعو إلى موت كبار مسؤولي الأمن في مصر، نرى أنها تحث متابعيها – الذين يقرب عددهم من 3.000 شخص – على حرق سيارات الشرطة. ووفقا لعمود على الصفحة من 26 يناير، انتشر عبر الصفحات المؤيدة للجماعة على «الفيسبوك» «هناك 34.750 ضابط شرطة في مصر... 80 في المائة منهم يمتلكون سيارات..... وإذا نجحنا في استغلال وضع الفوضى الحالي وقمنا أثناء الليل...بحرق 1000 سيارة «شرطة»...فسوف تقوم الحكومة بتعويض «الضباط» بسيارات جديدة، الأمر الذي سيسبب خللا في الميزانية وغضبا شعبيا... أو ستتركهم بدون سيارات مثل بقية السكان، وسوف يكون لذلك أثر كبير على معنوياتهم وأدائهم». وفي الواقع، أن سيارات الشرطة أصبحت على ما يبدو الأهداف الأكثر شيوعا لهذه الجماعات.

ومن بين جماعات الـ «فيسبوك» العنيفة المناصرة لـ «الإخوان» والأكثر شهرة بينهم هي «حركة مولوتوف»، التي ظهرت في أواخر 2013. فبالإضافة إلى نشرها صور للهجمات، فإنها توفر تعليمات حول كيفية خلط قنابل المولوتوف، وإنشاء قاذفات لقنابل المولوتوف، واستخدام طفايات الحريق كسلاح. وقد ذاع صيت هذه الحركة في أواخر يناير عندما تبنت سلسلة من حوادث الحرق المتعمد، وتفيد التقارير أنه كان لديها أكثر من 70.000 «متابع–followers» حينما أقدمت شركة «فيسبوك» على إغلاقها لتحريضها على «أعمال التخريب» في منتصف فبراير. ومع ذلك، نجحت «حركة مولوتوف» في إعادة تكوين نفسها سريعا حيث أنشأت العديد من صفحات الـ «فيسبوك» ذات التوجهات الإقليمية والتي أعلنت مسؤوليتها عن حرق نقطة تفتيش في «مدينة 6 أكتوبر» في 18 فبراير، ومركز للشرطة في الإسكندرية في 19 فبراير، وثلاث سيارات تابعة لضابط برتبة رائد في شرطة الجيزة في 21 فبراير، من بين حوادث أخرى.

وعلى الرغم من أن شركة «فيسبوك» والحكومة المصرية تبذلان أفضل ما بوسعهما لاحتواء هذه الجماعات العنيفة إلا أنهما تواجهان صعوبات في ذلك، لأن أعضاء «الإخوان» يستطيعون دائما تأسيس صفحات جديدة على الـ «فيسبوك» والإعلان عنها من خلال صفحات أخرى موالية لـ «الجماعة». وهذا ما حدث تحديدا عقب اعتقال ثمانية نشطاء مزعومين من «حركة مولوتوف» في 24 فبراير: فمع تباطؤ نشاط «الجماعة» بشكل كبير، انتقل محتوى «الإخوان» المحرض على العنف بكل بساطة إلى صفحات أخرى موالية لـ «الجماعة»، مثل «مصر الإسلامية» التي حصدت 554.000 «مُعجب – likes» و«حركة 18» التي حصدت 58.000 «مُعجب – likes»، وتشيد هاتان الصفحتان بالهجمات على سيارات الشرطة وسيارات المحطات التلفزيونية، والطرق، وحتى حفلة خطوبة لابن ضابط برتبة لواء في الجيش المصري. كما تشجع هذه الصفحات أعضاء «الجماعة» على مواصلة محاربة النظام الحالي، وكثيرا ما تلهم «الإخوان» باقتباساتها من سيد قطب ونشرها صور لمقاتلي «حماس».

ومن الناحية الفنية، تتركز أهداف شباب «الإخوان» على الأصول المادية، وليس الأرواح. وبطبيعة الحال هذا تمييز زائف بالكلية، حيث قد يُقتل الأشخاص عندما يتم قذف عبوة ناسفة، لكن هذه هي الطريقة التي يسوغ بها أعضاء «الجماعة» سلوكياتهم لأنفسهم ولآخرين. ووفقا لما صرح به شباب «الإخوان»، الذين حرقوا منزل ضابط شرطة، لمراسلة «ماكلاتشي» نانسي يوسف، «حاولنا ألا نقتل أحدا...فما نقوم به هو مجرد لكمة لتخويفهم». ومع ذلك دعت جماعات منتسبة إلى «الإخوان» من على الـ «فيسبوك»، إلى استهداف الأفراد بشكل مباشر، بما في ذلك «القيام بعمليات» اغتيال.

ومن بين الحركات التي تبرز في هذا الصدد هي «حركة الخفاش»، التي لديها ما يقرب من 1.900 «مُعجب – likes» وتستوحي فكرتها من فكرة الرجل الخفاش أو «الباتمان». وقد دعت أتباعها إلى ضرب مصور تلفزيوني، تدّعي أنه يقوم بالتجسس لصالح أجهزة المخابرات الداخلية؛ وأعطت عنوان منزل ورقم هاتف ضابط في أمن الدولة اتهمته بقتل متظاهرين؛ ونشرت قائمة بأسماء ضباط شرطة في أسيوط، قالت إنهم مطلوبين «أحياءً أو أموات».

كما أن «كتائب الشهيد» هي جماعة أخرى أكثر إثارة للقلق. فقد حذرت في أول بيان لها – نشرته «حركة مولوتوف» في 10 فبراير – من أنها سوف تلاحق «جميع من اشتركوا في قتل الشهداء منذ بداية الإنقلاب حتى يومنا هذا»، مدعية أن لديها عناوين أولئك الذين كانت تهدف استهدافهم. وبعدها بستة أيام، أعلنت الجماعة عن قتلها «بلطجي» مزعوم في المنصورة، وقامت بتأسيس صفحة لها على الـ «فيسبوك» في 1 مارس، ووعدت «بالثأر» في أول منشور أصدرته.

ويرجح أن يستمر هذا العنف المحدود لأجل غير مسمى ويزداد سوءا، لأنه من غير المرجح أن يجد شباب «الإخوان» طرقا أخرى أكثر رسمية لتعزيز أيديولوجيتهم في أي وقت قريب. وتخشى الحكومة المصرية المدعومة من الجيش من أن سماحها لـ «الجماعة» بالمشاركة في الحياة السياسية سوف يمكنها من العودة إلى السلطة والبحث عن الانتقام، وعلى نفس المنوال فإن أعضاء «الإخوان» غير مستعدين للمشاركة في المرحلة الانتقالية الحالية، وبالتالي قبول الإطاحة بمرسي. ومن ثم فإن النتيجة الأكثر احتمالا، على الأقل في المدى القصير، هي وجود حالة من الجمود غير المريح الذي يدعو إلى اليأس: إن جماعة «الإخوان» لا تستطيع هزيمة النظام الذي أعقب الإطاحة بمرسي من خلال استراتيجيتها الحالية، كما لا يستطيع النظام إنجاز أي شيء يقرّب البلاد من الاستقرار.

عن «معهد واشنطن».. وإريك تراجر هو باحثٌ بالمعهد

الجهل والخطر وراء دعوات الحرب الباردة

مروان بشارة

من الواضح أن الرياح التي تنذر بعودة الحرب الباردة كانت محسوسة للجميع، إلا أن الأزمة الأوكرانية قد نفخت فيها نارا حتى بلغت سخونتها مبلغا تكشفت معه درجة الهستيريا التي تسود التضارب بين العقائديين الأمريكيين والروس.

إن سخونة الأزمة بلغت مبلغا جعل حتى الشخصيات الأمريكية المعروفة ببرودة الأعصاب تتحدث عن ضرورة التحرك لمنع حرب باردة جديدة «لا تقدر بلادهم على تحمل تكلفتها».

ويطرح السؤال التالي نفسه: هل الحرب الباردة بنسختها الثانية مرحب بها؟ كثير من الذين يستخدمون مصطلح «الحرب الباردة» اليوم يستخدمونه لمجرد الرمز لمخاطر اتساع الهوة بين موسكو وواشنطن، إلا أن الأخطر من ذلك أن هناك أشخاصا يستخدمون هذا المصطلح لترويج إعادة سباق التسلح في أوروبا كما كان الحال أيام الحرب الباردة قبل انهيار الاتحاد السوفياتي في 25 ديسمبر 1991.

لقد كانت الحرب الباردة فريدة من نوعها، حيث كانت تدور على جبهات متعددة من دون انقطاع وبزخم متساو، فهناك الحرب على الجبهة العقائدية، وهي حرب اتخذت شكل المواجهة الفكرية والفلسفية، وحرب على جبهة الرؤى التي تتعلق بمستقبل العالم، وهناك الحرب الكونية النووية، وكذلك الحرب الدولية التي تضمنت صراعا لكسب الدول في كل قارة من قارات العالم، وأخيرا وليس آخرا حرب الإستراتيجيات بين أعتى قوتين عسكريتين في العالم.

ولكن، إذا ألقينا نظرة على الحرب الباردة التي كانت تدور في القسم الجنوبي من الكرة الأرضية فسوف نجد أنها لم تكن باردة حقا كما كان الحال في القسم الشمالي، فقد كانت الحروب بالوكالة تستعر يمينا وشمالا بين كيانات مدعومة إما من الولايات المتحدة أو الاتحاد السوفياتي آنذاك، وكانت النتيجة أناسا يقتلون كل يوم.

كانت إستراتيجية واشنطن تقوم على ثلاثة محاور: مواصلة إبقاء الاتحاد السوفياتي خارج عن مناطق النفوذ الأمريكي، المحافظة على ألمانيا الغربية تحت السيطرة وبقاء الأمريكيين في أوروبا الغربية.

وفي المقابل، كانت إستراتيجية موسكو تقوم على إحكام القبضة على أوروبا الشرقية، وإبقاء الأمريكيين خارج مناطق نفوذ الاتحاد السوفياتي.

وفي خضم انخراط القوتين العظميين في تحقيق تلك الإستراتيجيات تولدت لكل منهما تحالفات عسكرية عملاقة قل مثيلها في التاريخ البشري: حلف شمال الأطلسي «الناتو» الذي ضم دولا بشكل رئيسي «غرب أوروبا والولايات المتحدة»، وحلف وارسو الذي ضم بصورة رئيسية دول أوروبا الشرقية والاتحاد السوفياتي.

قامت القوتان طبقا لتلك الأحلاف بنشر قوات وأسلحة على خطوط التماس بين أوروبا الشرقية والغربية تعتبر الأكبر في التاريخ.

من هنا، فإن استخدام مصطلح «الحرب الباردة» اليوم يعتبر أمرا لا معنى له، لثلاثة أسباب:

الأول أن حلف وارسو لم يعد له وجود والناتو تمدد شرقا حتى وصل إلى تخوم روسيا، ألمانيا اليوم قوة تتهيأ لقيادة أوروبا، أما أمريكا فقد أكملت للتو سحب ثلثي قواتها من أوروبا كجزء من خطة لإعادة نشر قواتها على مستوى العالم تتضمن اعتبار آسيا محورا مهما «مع تواصل صعود الصين كقوة لا يستهان بها اقتصاديا وعسكريا».

والثاني عودة الحرب الباردة تعني إعادة تقسيم العالم من جديد إلى مناطق نفوذ، لقد دعمت واشنطن لعقود طويلة أنظمة شمولية بهدف استخدامها لوقف المد الشيوعي، وفي المقابل قامت موسكو ببناء أنظمة دكتاتورية وحركات متشددة لمواجهة الإمبريالية والرأسمالية.

ولتحقيق ذلك، قامت القوتان آنذاك بتسليح قتلة وسفاحين وأفاقين ودعمتا حركات وشخصيات إرهابية، واحتضنتا مجرمين دوليين ومولتا قتلة مأجورين في مختلف أصقاع الأرض.

من جهتها، موسكو هجرت مهمتها في تغيير العالم، رغم أنها تقوم من وقت لآخر برمي ثقلها خلف دكتاتور ما معاد للولايات المتحدة، إلا أن ذلك لا يرتقي إلى مستوى الجهدّ الذي كان يبذل أثناء الحرب الباردة.

ربما يمكن أن يُسمى ما تقوم به روسيا أنه سعي لأن تكون قوة إقليمية مسلما بها، إلا أن أيام الاتحاد السوفياتي أو ما كان يعرف باسم «إمبراطورية الشر» قد ولت منذ أمد طويل.

إن إعادة قيام الإمبراطورية تتطلب أكثر بكثير من مجرد الأخذ بيد الرئيس السوري بشار الأسد أو الربت على كتفي عبد الفتاح السيسي وزير الدفاع المصري السابق والمرشح لرئاسة مصر.

إن بناء إمبراطورية جديدة أو إحياء واحدة قديمة يتطلب قوة اقتصادية ورؤية للعالم قادرة على توليد زخم عقائدي مؤثر، وروسيا اليوم تفتقر إلى كل هذه الأمور.

على الصعيد الاقتصادي، روسيا تبنت الرأسمالية الغربية ونمطها في الإنتاج منذ فورة التحول إلى اقتصاد السوق التي اجتاحتها في تسعينيات القرن الماضي، رغم وجود تدخل حكومي بمستويات مختلفة.

إن الاقتصاد الروسي اندمج –ولا يزال يقوم بخطوات إضافية– في النظام الاقتصادي العالمي الذي يسيطر عليه الغرب.

لقد انضمت روسيا إلى منظمة التجارة العالمية، وهي عضو في منظمة الدول الصناعية الكبرى الثماني المعروفة اصطلاحا باسم «جي8» «G8» قبل تعليقها عضويتها هذا الأسبوع. من جهة أخرى، إن حجم تجارتها مع الولايات المتحدة يبلغ 38 مليار دولار، ولديها 139 مليار دولار في سندات ضمان الخزينة الأمريكية.

أما الشريك الاقتصادي الأول لروسيا فهو الاتحاد الأوروبي، ويبلغ حجم تبادلها التجاري مع الاتحاد 50 في المئة من مجمل صادراتها ووارداتها، ويقدر ذلك التبادل بـ330 مليار دولار سنويا.

ولهذه الأسباب، فإن تحذيرات واشنطن المتتالية لأوروبا لم تلقَ آذانا صاغية، لأنها غير ذات جدوى من المنظور الاقتصادي والتجاري، ولأن الأوروبيين يعلمون علم اليقين أن التجارة والمال هما أفضل السبل لتحقيق الأمن.

الحرب البادرة لم تعد، ولا تقوى لا الولايات المتحدة ولا روسيا على تحمل تكلفة عودتها، ربما لم يفعل كل من الرئيس الأمريكي باراك أوباما ونظيره الروسي فلاديمير بوتين الكثير لنزع فتيل الأزمة، إلا أن كليهما التفت عن صيحات الإستراتيجيين المتطرفين والعقائديين الذي أطلقوا صيحات تشبه دق طبول الحرب.

إن الولايات المتحدة –التي خرجت من الحرب العالمية الثانية وهي تنتج 50 في المئة من الناتج الإجمالي العالمي– لا تنتج اليوم سوى 20 في المئة وحتى هذه النسبة في انخفاض مستمر.

ربما من الأجدى مراقبة ما ستؤول إليه الأزمة الأوكرانية، وهل ستغير من قواعد اللعبة بروسيا في ما يتعلق بعلاقاتها مع الغرب.

من جهة أخرى، رغم أن التوتر بين العاصمتين الكبريين موسكو وواشنطن قد لا يرقى إلى وصفه بعودة الحرب الباردة فإنه قد يكون كافيا ليؤثر سلبا في الاستقرار بأوروبا ومناطق أخرى.

لهذا، فإن على بعض الذين يهمهم الأمر أن يقلعوا عن لغة الاستقطاب، وأن يتفقوا على إيجاد حل بديل لأوكرانيا، ولإسكات أولئك الذين يدقون طبول الحرب في كلتا العاصمتين.

ربما على الغرب أن يكون أكثر استيعابا وتفهما لمخاوف ومصالح روسيا، وعلى روسيا أن تكون أكثر تعقلا في رسم وتنفيذ إستراتيجياتها.

وذلك يعني –إضافة إلى أشياء كثيرة– المحافظة على حياد أوكرانيا كبلد يمثل خطا فاصلا بين روسيا وحلف الناتو، ولقد كان إعلان رئيس الوزراء الأوكراني المكلف أرسيني ياتسينيوك أن كييف لن تنضم إلى حلف شمال الأطلسي خطوة في الاتجاه الصحيح.

ومن جملة الأمور المهمة التي تأتي ضمن سياق نزع فتيل الأزمة رفض أي محاولة من قبل اللاعبين الأساسيين لتصدير أزماتهم إلى الشرق الأوسط.

وأخيرا، على موسكو وواشنطن أن تواصلا برنامج نزع الأسلحة النووية الذي بدأتاه في مرحلة ما بعد الحرب الباردة وصولا إلى خيار الصفر الذي نصت عليه معاهدة نزع الأسلحة النووية.

وإذا استمرت روسيا والولايات المتحدة ببناء ترسانتهما النووية وأصبح خيار الصفر مجرد حبر على ورق فإن على الدول الأخرى أن تطور هي الأخرى أسلحتها النووية، لأن التخلي عن نزع الأسلحة النووية أمر غير مقبول.

لقد علا صوت منظري عودة الحرب الباردة مؤخرا، لأن صوت معسكر السلام ليس عاليا كفاية.

لقد حان الوقت للجم دعاة الحرب وحشرهم بعيدا، حيث لا يصل صوتهم إلى مسامع أحد.

عن «الجزيرة نت»

فشل إنديك ونهاية حلم كيري

عبد الرحمن الراشد

مارتن إنديك هو أكثر من يعرف إسرائيل، يواجه اليوم أكبر فشل في حياته. إن لم يستطع إنديك هندسته فلا سلام يرجى بين الفلسطينيين والإسرائيليين في الوقت الراهن. وبنهاية هكذا، مات في مهده مشروع وزير خارجية الولايات المتحدة جون كيري، وكل ما حصل عليه كمٌ كبيرٌ من الشتائم من الوزراء والمتطرفين الإسرائيليين. رفضوا حتى إعطاءه «تنازلا» صغيرا: إطلاق سراح معتقلين سبق وأن تم الاتفاق على منحهم الحرية في اتفاق أوسلو القديم. حتى هذا الشرط الصغير فشل إنديك ورئيسه كيري في إقناع الإسرائيليين به ليتم تأجيل المشروع إلى ظروف أخرى مناسبة.

محمود عباس، رئيس السلطة الفلسطينية، أحسن المبارزة مع أن خصومه يتهمونه بأنه «رجل الأريكة»؛ لأنه لا يحب اللعب كثيرًا، بخلاف سابقه الراحل ياسر عرفات الذي لم يهدأ حتى وهو ينازع في المستشفى بباريس.

مشاريع السلام لا تنجح فقط مع باقة ورد وعلبة شوكولاته، كلها تحققت بفضل ظروف قاهرة. الرئيس المصري الراحل أنور السادات أدرك أن السلام لن تقبل به غولدا مائير، رئيسة وزراء إسرائيل آنذاك، دون أن تجبر عليه. كامب ديفيد مشروع سلام صعب ولد فقط بفضل شنه حرب 73. ولو لم ينجح المصريون في عبور قناة السويس لكانت خريطة إسرائيل اليوم نهائية على كل الضفة وغزة، والمفاوضات فقط على تنظيم الملاحة في قناة السويس.

فهل يتعين على الفلسطينيين العودة إلى ممارسة العنف لإرغام الإسرائيليين على التفاوض والقبول بدولة فلسطينية؟ بالتأكيد لا، لأن ميزان القوى في أساسه مختل مثل الفيل والنملة. كما أن وجود جماعات مسلحة في غزة، أمس وإلى اليوم، هي في معظمها جماعات تدار من قبل أطراف خارجية، مثل إيران التي تريد أن تفرض على الدولة اليهودية القبول ببرنامجها النووي، وتعترف بها كدولة نفوذ في المنطقة. وقد استخدمت لهذا الغرض حزب الله وفصائل فلسطينية. وإسرائيل القادرة على خوض معركة كاملة للقضاء عليها، كانت تخوض حروبا على غزة فقط لتقليم أظافر هذه الجماعات، وتبقيها حية بما فيه الكفاية لتعميق النزاع بينها وبين حكومة رام الله.

الخيارات قليلة وصعبة، أهمها ما ينوي الرئيس عباس الإقدام عليه، معركة دخول المنظمات الدولية هي إعلان حرب دبلوماسية، قد تتسبب في معركة عسكرية، حيث تعلن إسرائيل تحت أي غطاء احتلال الضفة الغربية وإسقاط حكومة عباس بمحاصرتها. الحقيقة، لا توجد أمامه خيارات أخرى. الاعتراف بالسلطة الفلسطينية في كل منظمة دولية نظريا يجعلها كيانا شرعيا متكاملا له نفس الحقوق الحمائية الدولية، لكنه واقعيا لا يضمن قيام دولة فلسطين بالسيادة المرجوة وإنهاء النزاع.

إنها أيام صعبة على الجميع، فقد أثبتت إسرائيل أنها دولة ثيوقراطية متطرفة، فشلت القوى المدنية في لجم طموحاتها الدينية، وهي ستقود إلى المزيد من الصراعات. والنزاع لن يموت فقط لأن إسرائيل قررت رفض مشروع كيري، والمشاريع التي سبقته، ولن تحل القضية ما دام هناك ملايين الفلسطينيين محاصرون في بلدهم، وملايين آخرين مشردون في الشتات. لقد حاولت إسرائيل مضغ الضفة الغربية، هذه القطعة الصغيرة، لخمسين عاما، وفشلت. الآن، أصبحت شبه دولة، وسكانها من ستمائة ألف نسمة عام 1967 إلى مليونين وستمائة ألف اليوم. أصبحت اللقمة أكبر من أن تتجرعها إسرائيل، دون أن تخاطر بكل كيانها. طبعا، العامل السكاني سلاح ذو حدين، فهو أيضا عبء على الحكومة الفلسطينية، وها هي الحكومة الأمريكية تهدد بوقف معوناتها البالغة أربعمائة مليون دولار إن استعملت سلاح الانضمام للمنظمات الدولية قبل التوصل إلى اتفاق سلام! هذه حرب ناعمة سلاحاها المال والدبلوماسية، وعلى الرئيس عباس أن يعد مواطنيه للأسوأ في حال قرر خوضها.

عن «الشرق الأوسط» اللندنية